



## الفصل السادس



## الماسونية في الدول العربية الأخرى

## الماسونية بين العراقيين:

إن المعلومات التي لدينا حول تاريخ النشاط الماسوني في العراق أثناء الحكم العثماني مثلثتها بالنسبة لباقي الدول العربية. ففي سنة ١٩٢٥م/ ١٣٠٤هـ ش كتبت إحدى الصحف العراقية أن شخصا يدعى مستر موير (Mr. Muir) قام بتأسيس محفل ماسوني في البصرة. وأضافت هذه الصحيفة أن عدداً من المحافل الماسونية قد تأسس في تلك المدينة في سنة ١٨٣٩م/ ١٢٥٥هـ وقد وصل عدد أعضائها في سنة ١٩٢٥م/ ١٣٠٤هـ ش إلى سبعمائة عضو. وإذا كان هذا صحيحاً فإننا يجب أن نفترض أن الماسونية قد تأسست في مدينة البصرة على أيدي مديري شركة الهند الشرقية الإنجليزية في هذه المدينة التي تعتبر ميناء تجارياً مفتوحاً أمام الأجانب وذلك بهدف الحفاظ على مصالح الإنجليز في الهند والخليج. ويبدو أنه لا توجد وثائق واضحة تؤكد هذا الإدعاء الذي ادعته الصحيفة العراقية. وعلى أي حال فإن كلمة «الماسونية» التي كانت تقرأ عند العراقيين أيام الحكم العثماني باسم «الفرمصونية» لم تكن مجهولة في العراق وكانت تستعمل بملول واحد مع كلمات مثل «الكفر والإلحاد» و«التهود» و«خدمة الأجانب» وقد أشرنا في الفصل الخامس بالماسونية بين المصريين إلى أن الشيخ فرغلي حاكم خوزستان القوي، كان له نشاط واسع في مجال الماسونية في نفس الوقت الذي كان فيه على صلة وثيقة بالعراق. ولا يستبعد على الوردى الباحث العراقي أن الشيخ خزعل ساهم في تأسيس المحافل الماسونية في العراق كما أن الكثيرين من العلماء والأدباء العراقيين الذين كانوا على صلة به استطاع أن يضمهم إلى طائفة الماسون (١). ويرجع باحث آخر من العراق - نجده فتحى صفوة - أن شركة الهند الشرقية الإنجليزية هي التي قامت بتأسيس أول محفل ماسوني في هذه المنطقة وكان الشيخ خزعل أول رئيس له. ويذكر صفوة أيضاً أن وثيقة سرية ظهرت بعد أن حل المحافل الماسونية في مصر واستيلاء الحكومة على وثائقها تثبت أن من بين الأعمال التي أدرجت في محضر جلسة ١٦ ديسمبر ١٩٢٣م/ ١٣٠٢هـ ش في محفل بالقاهرة تحت اسم «المحفل العباسي» رقم ٢٢٣، أنه قد تم منح نوط الشرق للشيخ خزعل رئيس «محفل خزعل» وللاستاذ الأعظم للماسونية في العراق وذلك نظير خدماته الجليلة للماسونية (٢).

وعلى أي حال فإن البصرة تعد أول قاعدة للماسونية في العراق وذلك لأنها كانت ميناء

مهما كما كانت مقراً لكثير من الشركات الأجنبية ويعيش فيها عدد كبير من الأجانب أو يملكون عليها في طريقهم إلى الهند. وبالإضافة إلى نفوذ شخصية الشيخ خزعل فإنه منذ منتصف القرن التاسع عشر فإن كثيراً من المؤسسات التجارية الإنجليزية كانت موجودة في البصرة وكانت لها صلات تجارية مع العراق والهند وكانت تبذل مساعيها في سبيل نشر النفوذ والاستعمار الإنجليزي ومن المحتمل أن موظفي هذه الشركات قاموا بتأسيس عدد كبير من المحافل الماسونية في هذه المدينة وجذبت لعضويتها عدداً من علمائها العراقيين.

وأول محفل ماسوني لدينا معلومات مؤكدة حوله هو «محفل ما بين النهرين» الذي قام الإنجليز بتأسيسه بعد احتلالهم العسكري للعراق بفترة قصيرة وذلك في سنة ١٩١٨م / ١٣٣٧هـ حيث خصص هذا المحفل للعسكريين والموظفين الإداريين الإنجليز وطبقاً للمعلومات المؤكدة فإن عشرة محافل على الأقل تم تأسيسها في المدن العراقية، وهي على النحو التالي:

١- «محفل ما بين النهرين» في البصرة، في سنة ١٩١٨م / ١٣٣٧هـ.  
٢- «محفل بابل» في البصرة، في سنة ١٩٢٢م / ١٣٠١هـ ش، وهذا المحفل كان أحياناً يعقد جلساته في آبادان.

٣- «محفل صدق الوفاء» في البصرة.

٤- «محفل دار السلام»، في بغداد.

٥- «محفل البصرة».

٦- «محفل الفيحاء» وكان هذا المحفل مخصصاً للعراقيين الذين لا يعرفون اللغة الإنجليزية ولذلك كانت لغته الرسمية هي العربية.

٧- «محفل العراق» وقد خصصت عضوية هذا المحفل للإنجليز المقيمين في العراق.

٨- «محفل كركوك» وكان هذا المحفل يعقد جلساته في مقر شركة النفط العراقية.

٩- «محفل نجلة» في الحيثية.

١٠- «محفل بغداد» في مدينة العراق (١).

وكان «محفل صدق الوفاء» يتبع مباشرة «المحفل الأكبر الوطني المصري» أما باقي المحافل التسعة فكانوا يتبعون «المحفل الإنجليزي الأعظم» (Grand Lodge of England) وكانت هذه المحافل والجمعيات الماسونية تعمل تحت إشراف «جمعية الأخوة» التي كان مقرها في بغداد وهذه الجمعية كانت تعمل كحلقة وصل بين هذه المحافل و«المحفل الأعظم» في لندن. كما ظهر أيضاً محفل آخر في البحرين وآخر في الكويت وكان هذان المحفلان على صلة بجمعية الإخوة في بغداد.

وفي سنة ١٩٢٦م / ١٣٠٥هـ ش ظهرت في الصحف العراقية مقالات كانت دليلاً على

وجود نشاط واسع للماسون وأيضا ركييزة قوية إلى حد ما وقد أكدت هذه الصحف إلى حد ما تصريحات المراسل الذي أخبر بوجود ٧٠٠ شخص من الماسون في البصرة. وفي نفس السنة توفي شخص ماسوني كاثوليكي كان عضواً في محفل «صدق الوفاء» ولكن القساوسة رفضوا القيام بإجراء المراسم الدينية لدفنه ومنعوا دفنه في المدافن التابعة للكنيسة الكاثوليكية رغم أنهم كانوا على علم بأن هذا الشخص كان قد تبرع بجزء من ثروته لإنشاء هذه الكنيسة. وعند هذه الواقعة أعلن الماسون في البصرة وبغداد اعتراضهم الشديد على هذه الإجراءات وقاموا بنشر مقالات كثيرة في الصحف التابعة لهم هاجموا فيها بشدة هؤلاء القساوسة. وفي ١٥ ديسمبر ١٩٢٦م/ ١٣٠٥هـ نشر عبد الرحمن أفندي الهاشمي في جريدته المسماة «الإخاء» مقالات تحت عنوان «تحيا مؤسسات الحرية الماسونية في الشرق والعالم الشرقي». وفي هذه المقالات هاجم بشدة تصرفات القساوسة الكاثوليك إزاء جثمان هذا الماسوني وفي ٢٣ ديسمبر نشرت جريدة العراق الصادرة في بغداد مقالة تحت عنوان «انتقام من ميت» وصفت فيها هذا الماسوني الميت بأنه رجل متعفف ومصلى وملتزم وملتزمك بالمذهب الكاثوليكي وادعت فيها أن هذا الرجل كان يؤمن بمعتقدات الماسونية بنفس القدر الذي كان يتمسك به بالمذهب الكاثوليكي وفي اليوم التالي ٢٤ ديسمبر ١٩٢٦م كتبت صحيفة الأوقات العربية مقالة باللغة الإنجليزية في نفس الموضوع، وبعد ذلك بأربعة أيام نشرت هذه الجريدة مقالة باللغة العربية وقع كاتبها بعبارة «الماسوني» وفيها هدد القساوسة على النحو التالي:

«هل تعلمون أنكم يمثل هذه الأعمال التي تقومون بها تدفعون أتباع الماسونية للبحث في الحقائق الموجودة في الإنجيل الشريف وقياسها بما تقومون به من أعمال الآن؟» (٤).

وفي الثلاثينات من القرن العشرين اضطرت الماسونية لأن يظل نشاطها في العراق سرياً. ويرى على الوردى أن سبب هذه السرية بل وحتى انكار الماسون لهويتهم تمثل في رعايا مؤيدي النازية ثم الشيوعيين في العراق وذلك لأن النازيين وكذلك الشيوعيين كانوا على عداوة وعدم تواؤم مع الماسون فالنازيون كانوا يعتبرون الماسونية إفراساً من السياسة الإنجليزية والفرنسية بينما اعتبرها الشيوعيون من المؤسسات التابعة للطبقة البرجوازية (٥).

ولكن من ناحية أخرى يعتقد نجدة فتحي صفوة أنه في مجتمع صغير مثل مجتمع بغداد في ذلك الوقت فإن جميع الماسون تقريباً كانوا قد عرفوا بأنهم من العلماء وخاصة أنهم تمكنوا من تأسيس المحافل الماسونية بتصريح رسمي وإجراءات رسمية حكومية (٦).

وبعد ثورة ١٥ يونيو ١٩٥٨م/ ١٣٣٧هـ أصدر نظام العراق الجديد أوامره بإغلاق جميع المحافل الماسونية، وبهذه الأوامر كانت حكومة العراق أول حكومة عربية تحطو بخطواتها في هذا السبيل. ففي ذلك العام قامت الحكومة بمصادرة أموال المحافل الماسونية، ومنذ ذلك التاريخ تم نشر قوائم كثيرة بأسماء الأشخاص الذين كانوا قد انضموا إلى الماسونية في العراق

منذ بدايتها وحتى سنة ١٩٥٨م/ ١٣٣٧هـ ش. ولما كانت هذه القوائم غير متسقة أو متشابهة فإن كثيراً من المتخصصين في تاريخ الماسونية بالعراق لا يعولون على حقيقتها كثيراً ويرون أن كثيراً من الناس قاموا بإدراج أسماء أعضائهم أيضاً في هذه القوائم وذلك بهدف فضحهم أمام المجتمع العراقي ونفس هذه القوائم الغير متسقة لا تحوي في مجموعها أسماء أكثر من ٦٢٥ شخصاً من الماسون، كان منهم ٢٨٥ من العرب المسلمين، ١٢١ من اليهود، ١٠٧ من المسيحيين والأرمن، و ١٢ كردياً، وثلاثة من التركمان، كما كان ٩٧ شخصاً من هؤلاء الماسون أيضاً من الأجانب المقيمين في العراق حيث كان منهم ١٢ من الهنود والباقي من الإنجليز وكان هؤلاء الماسون الأجانب تحت الحماية في العراق أو كانوا يعملون في السفارة الإنجليزية أو الشركات التجارية الإنجليزية مثل شركة البترول. كما كان الماسون العراقيون يعتبرون جميعاً من الطبقة البرجوازية، وكان من بينهم رئيس وزراء، و ٣٥ وزيراً سابقاً، و ٤٠ طبيباً وطبيب أسنان و ٣٠ ضابطاً من كبار الرتب في الجيش و ١٢ وكيل نيابة، و ١٨ سفير دبلوماسي على مستوى عال، و ١٥ شخصاً من الحاصلين على درجة الدكتوراه في تخصصات مختلفة، و ٢٢ شخصاً من كبار الموظفين في السلطات التنفيذية مثل المحافظين وأمثالهم.

وفي سنة ١٩٦٨م/ ١٣٤٧هـ ش عندما قامت ثورة ١٧ يونيو بزعامة حزب البعث الاشتراكي أيدت الثورة القرار السابق الذي أخذته حكومة العراق بعدم شرعية الماسونية. وفي سنة ١٩٦٩م/ ١٣٤٨هـ ش تم إصدار قانون العقوبات الخاص بمسألة الماسونية، وفي سنة ١٩٧٥م/ ١٣٥٤هـ ش تغير هذا القانون بحيث اعتبر الماسونية من المؤسسات الصهيونية ووضع عقوبة الإعدام لكل من ينضم إليها أو يقوم بالدعاية لها أو يقدم مساعدة أو تأييد مادي أو معنوي لها. ويبدو أنه لم يحدث بعد ذلك أي نوع من نشاط الماسونية في العراق (٧).

### الماسونية في سورية ولبنان وفلسطين والأردن:

إن أول محفل ماسوني تأسس في هذه البلاد كان في سنة ١٨٦٢م/ ١٢٧٩هـ في بيروت وكان اسمه «محفل فلسطين» ويتبع «المشرق الاسكتلندي الأعظم» وكان رئيسه السيد الدريج (Mr. Aldrige) الذي كان القنصل الإنجليزي في سورية. ولم تتمتع الماسونية في سورية ولبنان بسمعة طيبة لأنها كانت تعد سبة مهنية أو كفراً وإلحاداً ومن أعظم مهلكات الدين والمذهب ومع هذا كله فقد انضم إليها عدد من العلماء السوريين والأجانب في سورية. ولكن فترة نشاط هذا المحفل (محفل فلسطين) لم تستمر طويلاً وذلك لأن رئيسه الإنجليزي رحل عن هذه المنطقة في سنة ١٨٦٨م/ ١٢٨٥هـ. وبعد ذلك بعام واحد ١٨٦٩م/ ١٢٨٦هـ تم تأسيس محفل آخر باسم «محفل لبنان» كان تابعاً «للمحفل الفرنسي الأعظم» وانضم إليه عدد من كبار رجال الدولة والعلماء ومعهم كثيرون من أعضاء «محفل فلسطين». وينسب جرجي زيدان الذي كان ماسونياً لبنانياً ينسب الكثير من الأنشطة الإنسانية والخيرية إلى «محفل لبنان» (٨).

كان اعضاء هذا المحفل الماسونى يتشكلون من خليط من مختلف المسيحيين واليهود والمسلمين. وفي البداية كانت رئاسة هذا المحفل معقودة لرجل فرنسى ثم تولى هذا المنصب رجال مثل جرجى الخورى، سليم الرئيس، نقولا حجي، يوسف عريلى، اسبرشقيير وجرجى سُرْسُق الواحد بعد الآخر. وفي هذا الوقت أيضاً كان راشد باشا الوالى العثمانى على سوريا وهو الماسونى الذى أصبح بعد ذلك وزيراً للخارجية العثمانية.

بدأت الماسونية فى سورية فى سنة ١٨٦٤م / ١٢٨١هـ وطبقاً لتقارير خبراء تاريخ الماسونية فى العالم العربى فإن أول شخص يحمل هذه الظاهرة إلى سورية كان الأمير عبد القادر الجزائرى الزعيم الأسبق لحركة المقاومة الشعبية فى الجزائر، فبعد حربه الطويلة الفرنسيين فى الجزائر ظل يعيش لسنوات طويلة بعيداً عن وطنه حيث قضى مدة فى دمشق وكان قد دخل فى زمرة الماسون منذ مدة طويلة وقام بتأسيس محفل ماسونى فى دمشق تابع «للمحفل الإيطالى الأعظم» (Grand Lodge of Italy) باسم «محفل سورية» وقد ظل هذا المحفل يمثل المحفل الماسونى الوحيد فى سورية كما ظل أحفاد عبد القادر الجزائرى يتم انتخابهم لمنصب «الأستاذ الأعظم» لهذا المحفل مرات عديدة بعد وفاته. وقد ذكر كثير من الكتاب أيضاً أنه بعد ذلك انتشرت الماسونية فى الكثير المدن السورية الأخرى مثل حمص وحلب والإسكندرونه وعينتاب وانطاكية واللاذقية(٩).

وفى سنة ١٩٨١م / ١٣٠٩هـ قام شاهين مكاريوس بتأسيس محفل فى بيروت باسم «محفل فينيقيا» بعد أن حصل على إذن بذلك من «المحفل المصرى الوطنى الأعظم» ونياحة عن عدد من الماسون فى بيروت وعهد برئاسة هذا المحفل إلى خليل أفندى على القور، وقام خالد باشا حاكم بيروت بتنفيذه، واضطر أعضاء «محفل فينيقيا» لعقد جلساتهم بشكل سرى فى المغارات القريبة من مدينة بيروت.

ويرى الكثير من المحللين مثل على الوردى أن السلطان عبد الحميد قام بإغلاق «محفل فينيقيا» لأن هذا المحفل كان تابعاً «للمحفل المصرى الوطنى الأعظم» وكان السلطان يخشى أن تقوم الماسونية المصرية بنشر نفوذها فى سوريا عن هذا السبيل(١٠). وبعد إغلاق «محفل فينيقيا» رحل خالد الرئيس الرئيس السابق لهذا المحفل إلى أمريكا وأسس أول محفل ماسونى للعرب فى أمريكا فى مدينة شيكاغو. وطوال الحرب العالمية الأولى لم تحدث أنشطة ماسونية كثيرة فى سورية ولبنان ولكن بعد ذلك بدأت سلسلة من الأنشطة ربما بتشجيع من الإنجليز والفرنسيين، ففي سنة ١٩٢٤م / ١٣٠٣هـس أقيم مؤتمر فى مدينة بعلبك باسم «مؤتمر الأهرام» شارك فيه عدد ملحوظ من علماء وخبراء الدول العربية صار الكثيرون منهم فى مناصب عليا بعد ذلك مثل منصب الوزير أو رئيس الوزراء فى سورية ولبنان ويوجد فى مركز الوثائق التاريخية بمدينة دمشق وثيقة محفوظة تثبت أن محفلاً ماسونياً تابعاً لاسكتلندا باسم «نور دمشق» قام بتأسيسه فارس الخورى رئيس مجلس النواب ورئيس الوزراء السورى الأسبق

وتعهد هو برئاسته. ويبدو أن الماسونية في سورية ولبنان قد ضاعفت من نشاطها خلال السنوات الأخيرة من الثلاثينات في القرن العشرين إلى درجة أنه كان يوجد في مدينة بيروت وحدها ثلاثة محافل ماسونية كانت تابعة «للمحفل المصري الوطني الأعظم». وغير أن معظم المحافل الماسونية في سورية ولبنان كانت تابعة بشكل عام «للمحفل الفرنسي الأعظم» الذي كان متورطاً في مسيرة الأحداث السياسية بشكل واضح وعلني، بينما كان «المحفل الإنجليزي الأعظم» و«المحفل الاسكتلندي الأعظم» يمارسان نشاطهما السياسي بأسلوب مستتر وغير مباشر، وقد توسع النفوذ الفرنسي في فترة وجود سورية ولبنان تحت الحماية الفرنسية وكانت المحافل الماسونية عاملاً أساسياً لتثبيت دعائم النفوذ الفرنسي في البلدين. فقد كان البند التاسع من توصيات «مؤتمر الأحرار» الذي عقد في بعلبك يأمر الماسون بالتعاون مع نظام الفرنسيين الذي يضع سورية ولبنان تحت حمايته حتى أنه تم اختيار ثلاث لجان من الماسون قبل هذا المؤتمر حتى يقوموا بمتابعة قرارات المؤتمر وتنفيذها (١١). وهناك رسالة بتاريخ ٣١ ديسمبر من نفس العام باختيار أعضائه ومسؤوليه، واختير حنا ملك لئناسته كما حصل رجال آخرون منهم حسن غزاوي وزكي الفحام وعزه ميريدن وسعيد فتحى السمان على مناصب في هذا المحفل أيضاً. وبعد ذلك بعدة شهور وفي تاريخ ٦ مارس ١٩٣٦م ١٥ اسفند ١٣١٥هـ ش تم تأسيس «المحفل الإقليمي الأكبر لسوريا» وأصبح حنا ملك هذا سكرتيره العام ورئيسه وشملت إدارته ثلاثة محافل ماسونية أخرى باسم «محفل قاسيون» في دمشق، و«محفل فاروق» في حمص، و«محفل خالد بن الوليد» في حمص. ومع أن المحفل الأكبر الإقليمي لسوريا كان يعتبر محفلاً مركزياً متحداً إلا أنه كان يخضع لإشراف محفل «الشرق الأكبر المصري» وقد قام محمد رفعت سكرتيره العام نيابة عن «الأستاذ الأعظم» للمحفل المركزي المصري بافتتاح «المحفل المتحد الإقليمي» لسوريا (١٢).

وفي سنة ١٩٣٩م / ١٣١٨هـ قرر الماسون العلماء في سورية خلال الجلسة التي عقدها أن يقوموا بتأسيس «محفل أعظم» (Grand Lodge) يجعلوا تحت رئاسته وإشرافه جميع المحافل المؤسسة في سوريا ولبنان، وفي ذلك الوقت تم اختيار عطا الأيوبي لمنصب «الأستاذ الأعظم» لهذا «المحفل الأعظم» ومن ذلك الوقت أصبح «المحفل الأعظم» معترفاً به رسمياً من قبل أهم المحافل الماسونية العظمى في العالم. ولم يمض كثير حتى توقف هذا المحفل عن نشاطه بسبب الحرب العالمية الثانية ولكن بعد هذه الحرب بذلت جهود كثيرة لاستئناف النشاط الماسوني في هذه المنطقة، وظل هذا النوع من النشاط يمارس إلى مدة طويلة لاحقة. ولكن في سنة ١٩٦٥م / ١٣٤٤هـ بادرت حكومة سورية عقب حكومتى العراق ومصر بوقف هذا النشاط بإغلاق جميع المحافل الماسونية وجمعيات الروتارى ووجهت تحذيرها للشعب بضرورة الابتعاد عن الانضمام والتبعية الماسونية والروتارى وإلا فإنهم سوف يقفوا تحت طائلة القانون (١٣).

وعلى الرغم من هذا الأمر القانوني وإغلاق جميع المحافل الماسونية في سورية فإننا نجد في تقرير صدر من الماسون في أمريكا في سنة ١٩٧١م/ ١٣٥٠س حديثاً عن متابعة النشاط الماسوني في هذه الدولة فقد جاء في هذا التقرير أن محفلاً ماسونياً تابعاً لماسونية نيويورك باسم «إبراهيم الخليل» مازال باقياً حتى الآن في دمشق (١٤). ومن الواضح انه ليس لدينا أية معلومات عن سبب وجود هذا المحفل وماهية نشاطاته.

وفي لبنان بحكم اختلاف بنية مجتمعها عن المجتمع السوري لم يظهر خط مماثل لما حدث في سورية للقضاء على الماسونية ولكن الحكومة وضعت بعض الضوابط والمحددات لاستمرار النشاط الماسوني فيها فعلى سبيل المثال قامت الحكومة بإلغاء برنامج مؤتمر الماسونية العالمية الذي كان من المقرر عقده في لبنان في أغسطس ١٩٦٥م/ ١٣٤٤ش. رغم أنه كان قد تقرر أن يشترك في هذا المؤتمر ألفان من الماسون كممثلين لأهم المحافل الماسونية العالمية، وحول هذا الموضوع أعلن أديب الفرزلي نائب رئيس مجلس النواب اللبناني والذي كان «أستاذاً أعظم» للماسونية: أن الحكومة قامت بإلغاء برنامج المؤتمر نزولاً على رغبته، وذلك لأن الكثير من الماسون الصهاينة كانوا يريدون أن يتسللوا إلى داخل البلاد عن طريق هذا المؤتمر. ومع هذا فإن «المحفل الأكبر اللبناني» قام بدعوة عدد من «الأساتذة الكبار» من جميع أنحاء العالم لزيارة لبنان حيث وصلوا إلى بيروت في شهر أغسطس ١٩٦٥م/ ١٣٤٤ش وقام أديب الفرزلي باستقبالهم وذهب معهم لمقابلة رشيد كرامي رئيس الوزراء اللبناني ومن ناحية أخرى كان الرأي العام في لبنان رافضاً للنشاط الماسوني إلى درجة اضطرت معها الحكومة اللبنانية أن تصدر أوامرها بإغلاق المحافل الماسونية ولكن هذه الأوامر لم تدخل مطلقاً مرحلة التنفيذ الجدى ولهذا السبب تابعت المحافل الماسونية نشاطها بشكل عملي. وفي ١٩ يناير ١٩٧٢م/ ١٣٥٠هـ ش. كتبت وكالة الأنباء الفرنسية أن صائب سلام رئيس الوزراء اللبناني أصدر أوامره بإغفال الأمر السابق الذي كانت الحكومة اللبنانية قد أصدرته بإغلاق المحافل الماسونية في لبنان وأن المحافل الماسونية تستطيع متابعة أعمالها بشكل قانوني (١٥).

وفي فلسطين كان هناك أيضاً بعض الماسون الذين كانوا على علاقة بالمحافل الماسونية في لبنان وسورية. ولكن أول محفل ماسوني في هذه البلاد ويسمى «محفل سليمان الملوكي الأساسي» لم يكن قد أسس في سنة ١٨٧٣م/ ١٣٩٠هـ. وبعد ذلك ظهرت محافل ماسونية أخرى في المدن والقرى الفلسطينية حيث يمكننا أن نذكر منها محافل (باكس) (Pax) في القدس برئاسة وهبة تماري «هيكل سليمان» في يافا و«الاتحاد الفلسطيني» و«سينا» في غزة (١٦).

ويذكر لنداو إن أول محفل ماسوني في يافا قام بتأسيسه المهندسون الفرنسيون الذين كانوا يعملون في السكك الحديدية وكان ذلك في سنة ١٨٩١م/ ١٣٠٩هـ (١٧). وكان الكثيرون من أعضاء المحافل الماسونية في فلسطين يعتبرون من الشخصيات البارزة فيها.

وقد رفض أعضاء الكثير من المحافل الماسونية الأخرى هذا التقارب الذي يتم بين هذه المحافل واعترضوا على هذا أمام المحفل الاسكتلندي الأعظم وطلبوا من المنظمات الماسونية في مصر أن تعترف رسمياً بالمحفل الوطني الفلسطيني الأعظم ولكن «المحفل الوطني المصري الأعظم» لم يظهر أى تعاطف مع هذه الرغبة وبالإضافة إلى الاعتراف بها رسمياً قام بإلغاء ملفات المحافل الماسونية التابعة له في فلسطين وبارسال وفد إلى فلسطين أيد رسمية المحفل الوطني الفلسطيني الأعظم الذي كان يرأسه كروتسكى اليهودى وكان عمر البيطار من بين الماسون الذين اعترضوا ورفضوا هذه الخطة التى تؤدى إلى اتحاد المحافل الفلسطينية والتي ستؤدى حتما إلى توسيع نطاق نفوذ اليهود وقدرتهم. وقال: إن تأسيس محفل وطنى فلسطينى أعظم لا يقدم مساعدة لأهداف الماسونية لأن الهدف منه هو تحقيق التفاهم بين العرب واليهود وهذا بالضبط هو الذى أبدى العرب اعتراضاً شديداً عليه منذ صدور وعد بلفور (Balfour Declaration)(٢٠).

وبعد الأحداث الدامية التى وقعت فى سنة ١٩٤٨م/ ١٣٢٧هـ ش بين العرب وإسرائيل وضم الضفة الغربية من نهر الأردن إلى حكومة المملكة الأردنية الهاشمية استمرت المحافل الماسونية الفلسطينية تمارس نشاطها بأسلوبها السابق، وقد قام الفلسطينيون الذين رحلوا إلى عمان بتأسيس جمعية ماسونية تابعة للمحفل الاسكتلندي الأعظم. والجدير بالذكر أنه بعد إغلاق المحافل الماسونية فى مصر فى سنة ١٩٦٤م/ ١٣٤٣هـ ش ظهر رد فعل سلبى بين شعب مصر وباقى الدول العربية وخاصة الأردن حول هذا الموضوع وأصدر الماسون فى الأردن بياناً أعلنوا فيه أن الصهيونية تقوم باستغلال الماسونية العالمية بأسوأ أساليب الإجرام التى لم تشهدا البشرية حتى الآن ولهذا فإن العرب لا يجب مطلقاً أن يتركوا خندق الماسونية ويتركوا الميدان للصهاينة يجولوا فيه وحدهم ويستطيعون بسهولة أن يحققوا أهدافهم وينشروا دعاياتهم المضللة وأعلنوا فى نفس البيان ظهور منظمة ماسونية باسم «الحركة الماسونية العربية» وأعلن كلاً من عبد المجيد مرتضى والدكتور سليمان البستاني على أنهما «الأستاذ الأعظم» و«الأمين الأعظم» وأعربا عن هدفهما من تأسيس هذه المنظمة على النحو التالى: التعاون مع تلك المجموعة من المنظمات الماسونية العالمية التى تتضامن معهم، تحقيق العدل والعدالة لعرب فلسطين، إطلاع العالم على الأوضاع المفجعة للاجئين الفلسطينيين(٢١).

لم يكن ارتفاع عدد المحافل الماسونية واتساع نطاق نشاط الماسون فى الدول موضع البحث ليبقى دون رد فعل من جانب المفكرين والكتاب ورجال الدين فى المذاهب والأديان المختلفة ففى الحقيقة قامت حرب كان سلاحها القلم بين مؤيدى الماسونية ومعارضيهما ونشرت كتابات ومقالات كثيرة ومختلفة حول هذا الموضوع وكان أول كتاب ظهر فى سوريه ضد الماسونية بقلم أحد المسلمين الشيعة ويدعى الحاج عز الدين محمد بن على الشامى العاملى ويحاول الكاتب فى هذا الكتاب الذى كان يسمى «كشف الظنون عن حالة الفرماسون» صدر فى سنة

١٨٧٢م/ ١٢٨٩هـ أن يمنع الناس عن الانضمام إلى سلك الماسونية والماسون بدلائل قائمة على العقل والشرع ويستدل على أن الانضمام إلى جماعة لا تتضح ماهيتها وأهدافها لا يعتبر عملاً عقلانياً واعياً فالعقل يعتبر الامتناع عن الأضرار المحتملة من الواجبات والدخول في محفل لا يتحدث التابعون له عما يحدث ويجرى داخله هو بمثابة الدخول في بيت العقارب والأفاعى السامة والأسود الضارية وهو عمل لا يتناسب مع العقل والرجل العاقل لا يدخل في منزل بمنزلة هذه المواصفات على الرغم من الآمال الكثيرة في وجود كتب مفيدة أو ملابس جميلة ومجوهرات لامعة داخله(٢٢).

وخلال السنوات التالية لظهور كتاب عز الدين محمد العاملى ظهرت كتابات أخرى مناهضة للماسونية من قبل أتباع الدين المسيحي أيضاً. ويكتب كدورى أنه خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين اعتبر الأفكار المناهضة لرجال الدين المسيحيين في لبنان نفسها متضامنة مع حركة الماسونية ووجدت لها دعاء بين المسيحيين المارون(٢٣). ويذكر بليس (Bliss) الذى ألف كتاباً سنة ١٩١٢م/ ١٣٣٠هـ حول الأديان والمذاهب في سورية وفلسطين الجديدة(٢٤) أنه في تلك الأثناء كان الجهاز الرسمى وسلسلة مراتب المارون يتعرضون بشدة للتهديد من جانب النشطين التابعين للمحافل الماسونية وباقى الجماعات التى كانت قد ظهرت في لبنان عقب عودة المهاجرين اللبنانيين من أمريكا. وقد قام لويس شيخو وهو أحد زعماء المسيحيين اليسوعيين بكتابة سلسلة من المقالات المناهضة للماسونية طوال السنوات ١٩١٠: ١٩١١م/ ١٣٢٨: ١٣٢٩هـ وقام فيها بمهاجمة حركة الماسونية في الدول الإسلامية ومنها لبنان ومصر وتركيا وسورية وقد خرجت هذه المجموعة من المقالات بعد ذلك تحت اسم «السر المصون في شيعه الفرسمون» وذلك بشكل مستقل منفصل(٢٥).

ويرى نجدة صفوة أن «السر المصون» الذى كتبه لويس شيخو كان أهم كتاب نشر في ذلك الوقت ضد الماسونية ويضيف أن لويس شيخو كان عالماً مشهوراً وكتاباته في مجال التاريخ والأدب العربى تتمتع بقيمة عالية ودرجة رفيعة، ومن الواضح أن صراع المسيحيين مع الماسونية لم يكن ظاهرة جديدة في ذلك الوقت. ولكن لويس شيخو عرض كلامه مستنداً إلى مصادر ومراجع كثيرة وبلغات مختلفة كانت في متناول يده وأصبح كلامه بذلك مفيداً للغاية وجديراً بالفكر والتمحيص(٢٦). ومن ناحية أخرى فإن جرجى زيدان الذى كان هو نفسه ماسونياً انتقد بشدة وبشكل خاص كتابات اليسوعيين وجريدتهم المسماة «البشير» لأنهم كانوا قد وقفوا لمناهضة الماسونية(٢٧).

ويعد أن تأسست الحركة الماسونية العربية في الأردن واعترفت في بيانها بوجود النشاط الماسونى في الأردن وضرورته. أصدر المفتى الأعظم في الأردن فتوى مطولة أدان فيها الماسونية بشدة.

ويرى على الوردى أن هذه أول فتوى لزعيم دينى إسلامى فى هذا الموضوع (٢٨). وقد كتب مفتى الأردن أن الماسونية تعتبر على أشد الفروض من صنائع اليهود وذلك لأنه يرى فيها علانم وآثار من اليهودية واليهود هم الذين يقومون برئاستها والدعاية لها. وهدف الماسونية هو إعلاء الأخوة الماسونية فوق الأخوة الدينية والقومية وهذا العمل هو فى الحقيقة تفضيل وإعلاء الماسونية على الدين وهذا فى حد ذاته يعتبر كترأ. وإذا كان لهم مثل هذا الهدف والمطلب فإن صداقتهم بالإخوان اليهود سوف تكون حتمية وقد نهى الله تعالى عن الصداقة مع اليهود (٢٩).

### المسجد الأقصى واتحاد الأمانى بين الماسونية والصهيونية:

فى أماكن متفرقة من هذا البحث أشرنا إلى أن الكثيرين من أصحاب الراى يرون أن الماسونية لها مع اليهودية والصهيونية تضامن وتعاون واتحاد وتوافق بشكل كبير. وربما يكون من المفيد أن نتحدث هنا ولو بشيء من الاختصار حول نموذج واضح ومثال بين لذلك التوحد فى الأمانى والأمانى بين الماسونية والصهيونية. إن اليهود طوال تاريخهم الطويل كانت آمالهم معلقة دائماً بالاستيلاء على بيت المقدس وقد كان تشكيل دولة إسرائيل بمساعدة الإمبريالية الغربية فى سنة ١٩٤٨م/ ١٣٢٧هـ ش وكذلك الحروب المختلفة التى دارت حتى الآن بين الصهاينة والمسلمين العرب كانت كلها جميعاً فى سبيل تحقيق هذا الهدف والمحافظة عليه.

وكان الصهاينة يريدون بشكل خاص أن يسيطروا على المسجد الأقصى الذى يقع فى الضلع الشرقى لمدينة القدس القديمة وذلك لأن ما عرف بحائط المبكى (Wailing Wall) والذى القدس اليهود كثيراً يقع فى الناحية الغربية من هذا المسجد ويؤمن اليهود أيضاً أن هناك مكان آخر يقدسونه ويسمى «معبد سليمان» كان قد تم تدميره فى القرن الأول الميلادى على يد الإمبراطور الرومانى تيطس «Titus» وكان يقع أيضاً فى نفس المكان. وكان الهجوم الدموى الذى قام به اليهود فى المسجد الأقصى فى سنة ١٩٢٩م/ ١٣٠٨هـ ش والذى انتهى بمصرع المئات من المسلمين واليهود كان أيضاً بهدف الاستيلاء على حائط المبكى. ولهذا السبب قامت إسرائيل فى حرب الأيام الستة ١٩٦٧م/ ١٣٤٦هـ ش بالاستيلاء على هذا الجزء من القدس والذى كان يضم المسجد الأقصى ونزعه من سلطة الحكومة الأردنية الهاشمية. وفى نفس اليوم الذى احتلت فيه إسرائيل القدس القديمة (٧ يونيو ١٩٦٧م) أقيمت مراسم صلاة دون أى إعداد مسبق عند حائط المبكى حضرها كل من ليفى اشكول (Levi Eskal) رئيس الوزير الإسرائيلى وموشى ديان (Moshe Dayan) وزير الدفاع، وفى يوم الحادى والعشرين من شهر أغسطس ١٩٦٩م الثلاثين من شهر خرداد ١٣٤٨هـ ش وقع حدث آخر أثار غضب العالم الإسلامى حيث اشتعلت النيران فى المسجد الأقصى فى ذلك اليوم وكان المسلمون يرون أن احتراق المسجد الأقصى من تدبير الصهاينة الذين أرادوا بذلك محو واحد من أقدس الأماكن الإسلامية ومحل معراج رسول الإسلام.

ويبدو أن المؤسسات الماسونية كانت على صلة بما أوردناه حول آمال اليهود والصهيانية فيما يتعلق ببيت المقدس ومعبد سليمان والمسجد الأقصى فحول هذا الموضوع توجد دلائل كثيرة أوضحها وأحدثها جميعاً رسالة كتبها أحد الماسون الأمريكيين بتاريخ ٣٠ مايو ١٩٦٨م/ ٩ خرداد ١٣٤٧ هـش أى قبل احتراق المسجد الأقصى بأقل من ثلاثة أشهر تحدث فيها عن رصد أكثر من مائة مليون دولار لشراء أراضي المسجد الأقصى وقد اعتبر كاتب هذه الرسالة أن معبد سليمان يعتبر أول محفل ماسونى وأن النبي سليمان هو أول رئيس لذلك المحفل واقترح إنشاء معبد جديد حول منطقة المسجد الأقصى حتى يستطيع الماسون الأمريكيون إحياء معبد سليمان الذى كان قد خرب منذ ١٧ قرناً على يد تيطوس وإقامته مرة أخرى. وهذا التوحيد فى الأمانى بين الماسونية والصهيونية استقر فى الرأى العام وفى الفكر العام لدى المسلمين إلى درجة أن حسين عمر حماده الكاتب السورى رأى أن هناك علاقة وثيقة بين احتراق المسجد الأقصى وأهداف الماسون ومطالبهم. وربما يكون من المفيد أن نورد هنا كل ما جاء فى هذه الرسالة: «إلى أمناء مسجد عمر – المقدس – إسرائيل. المحترمين الأعزاء. لقد ولدت جدتى فى الأردن وأنا الآن أعيش فى أمريكا وأجدادى منهم الأردنى ومنهم الأيرلندى وإبنى لأقتخر بانى عربى من جهة الأم ودينى هو المسيحية أيضاً وسوف أكون فى تل أبيب يوم السابع من سبتمبر القادم وفى القدس يوم التاسع من سبتمبر وأتمنى أن أحظى بلقائكم. أعزائى كبار المسئولين عن معبد عمر المقدس! كنت قد كتبت رسالة لم تصل لسبب ما ولهذا السبب فاتى أخبركم الآن بخبر زيارتى. وأنا ورفيقتى مورفى (Murphy) عضوان من أعضاء المحفل الماسونى شعارهما هو «الماسون قادة الحرية» وأنتم تعلمون أن معبد سليمان كان أول محفل ماسونى حقيقى وسليمان هو أول رئيس لهذا المحفل، وقد تهم هذا المعبد فى سنة ٧٠ ميلادية وأنا أعلم أيضاً أن مسجديكم هو ملك شرعى لهذا المعبد والصخرة الغربية منه أيضاً هى نفسها التى أخذ جندا إبراهيم ابنه إسحق ليذبحه عليها. وأعلم أنكم العرب أبناء إسماعيل وقد قمتم بالدفاع عن هذه الصخرة لقرون طويلة والحمد لله....

فإذا ما سمح لنا أمناء مسجد عمر فإن أتباعى سوف يقومون بجمع مائة مليون دولار أو أى مبلغ آخر يحتاج له وسوف نخصصها لإعادة بناء هيكل سليمان. وبهنا أن نلقت انتباهكم أن مسجديكم لن يقف أبداً قدسيته وشرقه وعندما يتم اكتمال بناء المعبد سوف يتم وقفه لسبيل الله ونظام الماسونية العالمى وسوف يعطى لكم دون مقابل وبالإضافة إلى هذا فإنه لو سمحت هيئة الإشراف على المسجد فإن كل أخ ماسونى يتعاون فى بناء وتشبيد هذا المعبد سوف يحصل على العضوية فى المحفل الماسونى رقم واحد للملك سليمان فى القدس .. وجميع الماسون فى العالم يشاقون للعضوية فى محفل الملك سليمان وبالتأكيد فإن أى أحد منهم لم يز هذا المعبد طوال عمره ويأملون جميعاً أن تصل عضوية هذا المحفل إلى أخلافهم وتورث لهم ويجددون هذه العضوية كل عام. وهذا يعنى أن آلاف الدولارات سوف تعرف طريقها سنوياً إلى المعبد

بحيث تكون سنداً للحفاظ على المعبد وصيانتته ويخصص جزء منها أيضا للأعمال الخيرية في مسجد عمر. ويعنى ذلك أن المسجد لن يحتاج أبداً لجمع الأموال من الأعضاء. وإني لأؤكد على أنكم إذا ساعدتمونا في تشييد هذا البناء فإن مسجدكم سوف يصبح أغنى مؤسسة دينية على وجه الأرض.

وهذا الأمر هو الذى سوف يجعل يهتمكم مكاسبكم أكثر رواجاً وازدهاراً ولا يمكن ان يكون فيه أى نوع من الضرر أو الخسارة ونحن سوف نعطيكم أموالاً بالقدر الكافى لكى تنفقوها على بناء المعبد ولكم الحرية فى تقبل المعونات والهدايا والمساعدات، شريطة أن تخصصوا جزءاً محدوداً من المعبد للماسونية وما تبقى لكم الحرية فى التصرف فيه وذلك لأن المعبد ملك لكم ونحن سوف نقوم بإنشاء هذا البناء لكم دون مقابل.

وأنا أقترح أيضا أن يحول جزء من المعبد إلى مستشفى للسكان العرب اليهود فى القدس يقوم بمعالجة الفقراء مجاناً وبعد أن يكتمل بناء المعبد فإن الأموال سوف تعرف طريقها إليه أكثر مما هو متوقع وذلك عن طريق عضوية أعضاء الماسونية. وأنا سوف أحضر إلى الأراضي المقدسة من أجل تصوير وإخراج فيلم سينمائي وهناك إمكانية كبيرة فى عرض هذا الفيلم الذى يدور حول جدنا إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وأيضا بناء المعبد وقصة ميلاد المسيح حتى صلبه فى المحافل الماسونية أعزائى الأفاضل: إننى لعلى يقين من أنكم سوف تقومون ببحث ومناقشة هذا الموضوع قبل وصولى إليكم وأتمنى أن يقبل أعضاء هيئة أمناء مسجد عمر دعوتى ويسمحوا لى بأن أتحدث معكم شخصيا خلال فترة إقامتى القصيرة. وفى النهاية فإنى أتمنى من الله العلى القدير الخير والبركة لكم جميعا» (٣٠).

### الماسونية بين باقى العرب:

لأن الماسونية هى وليدة المدينة البرجوازية المزروجة للغرب ففى كل مكان تخطو فيه الأطماع الاستعمارية الغربية نجد الماسونية أيضا تخطو خطواتها فى رفقتها ومعيتها، ولهذا السبب ففى دولة مثل تونس التى يرجع تاريخ الماسونية فيها إلى العقد الثامن من القرن الثامن عشر لا نرى نشاطاً ماسونياً كبيراً قبل احتلالها من قبل الاستعمار الفرنسى. وطبقاً للمعلومات الموجودة ففى سنة ١٧٨٤م / ١١٩٩هـ كان يعيش فى تونس عدد من الماسون اليهود وغير أنه لم يكن لهم أى نوع من المحافل الماسونية وبعد أن احتل الاستعمار الفرنسى تونس فى عام ١٨٨١م / ١٢٩٩هـ بدأت الماسونية فى توسعها فى هذه البلاد أيضا إلى درجة أن كثيراً من التقارير تثبت أنه فى عام ١٩١٠م / ١٣٢٨هـ كان يعيش فى تونس أكثر من ٣٠٠ شخص من الماسون وفى سنة ١٩٣١م / ١٣١٠هـ وصل عددهم إلى حوالى ألف شخص من الماسون.

والسابقة التاريخية للماسونية فى الجزائر تعود أيضا مثلها فى ذلك مثل تونس إلى العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر الميلادى. وقد أرجح السيد الجزاوية ياكونو (Xovier)

(Yacono) الأستاذ فى جامعة تولوز الفرنسية (Toulouse) بداية الماسونية فى الجزائر إلى سنة ١٧٨٥م / ١٢٠٠هـ. وهناك كتاب باللغة الفرنسية ورد فيه الحديث عن نشاط الماسونية فى ذلك البلد طوال قرن كامل - من ١٧٨٥م / ١٢٠٠هـ : ١٨٨٤م / ١٣٠٢هـ (٣١).

ومنذ بداية تاريخ الماسونية فى الجزائر نجد أفراداً من المسلمين قد انضموا إلى طائفة الماسون. وقد كتب إبراهيم ألفت فيما يتعلق بمسيرة الماسونية فى دولة الجزائر ما يلى: «لقد قبِلت منطقة من بلاد القبائل (كابيلية) (٣٢) طريقة الماسونية عن طريق أحد زعماء القبائل فيها والذي كان قد قبل كماسونى فى إنجلترا وفى آخر حملة فرنسية على بلاد القبائل (كابيلية) مازالت هنا آثار باقية من هذا الجهاز، وكان أهالى بعض القرى عندما يقومون بإخلاء قراهم أمام تقدم القوات الفرنسية كانوا يتركون علامات الماسونية التى نسخت من الحصار والنسج فوق مساكنهم كما هى (٣٣).

ولكن من الواضح ان انتشار الماسونية فى الجزائر كان على صلة قوية بالحملة الفرنسية عليها فى سنة ١٨٣٠م / ١٢٤٦هـ فقد كان الجيش الفرنسى يقوم بتأسيس الماسونية فى المستعمرات الأفريقية ومنها الجزائر بشكل منظم. وهذا الأمر له مزايا «سواء أثمرت فى مجال حسن التعامل والمودة بين الفرنسيين وأهل البلاد او فى مجال الاتحاد بين الغزاة وأهل البلاد الأصليين».

وقد تأسس أول محفل ماسونى للفرنسيين فى الجزائر سنة ١٨٣٢م / ١٢٤٨هـ فى مدينة الجزائر باسم محفل (بليزرن) (Belisarius or Belisaire) وهو اسم لقائد رومانى شرقى كان يعيش فى عهد جوستينيان الأول (Justinin I) (٣٤).

ومن ذلك الوقت أخذ عدد الماسون فى الجزائر يزداد شيئاً فشيئاً إلى درجة أنه طبقاً للمعلومات المتوفرة وصل عدد المحافل الماسونية فى سنة ١٨٥١م / ١٢٦٨هـ إلى ١٤ محفلاً كما وصل عدد الماسون إلى ٨٤٠ شخصاً (٣٥).

ويعتبر سيد محمد بن على السنوسى (متوفى: ١٨٥٩م / ١٢٧٦هـ وهو مؤسس الحركة السنوسية الشهيرة الواسعة الانتشار) واحداً من الشخصيات العربية البارزة فى شمال أفريقيا التى يذكر اسمها مع العلاقة بالنشاط الماسونى ويعود أصله إلى «الواسطة» فى الجزائر وكان يتبع المذهب السنى المالكى وبالإضافة إلى أنه كان يؤمن بالعودة فى المجال الفكرى إلى أصالة الإسلام الأول وتطهير الإسلام من التجديدات وكان يتبع المعتقدات والطرق الصوفية. وقد غادر الجزائر فى نفس السنة التى قام الفرنسيون فيها باحتلالها ١٨٣٠م / ١٢٤٦هـ وظل فى مصر لمدة ومارس البحث فى جامعة الأزهر. أسس سيد محمد السنوسى جماعة السنوسية فى مكة فى سنة ١٨٣٧م / ١٢٥٣هـ. وأسس مركزها الرئيسى فى سنة ١٨٤٣م / ١٢٥٩هـ فى برقة (Syrenaica) المركزية فى ليبيا باسم «الزاوية البيضاء» ثم تمركز فى الجيوب فى

ليبيا فى سنة ١٨٥٦م/ ١٢٧٣هـ وكان السنوسيون يروجون مطالبهم ومعتقداتهم عن طريق تأسيس مراكز باسم «الزراوية» (٣٦) فى جميع أنحاء شمال أفريقيا وقطاع من الشرق الأوسط إلى درجة أن عدداً كبيراً من الناس قد تحول إليهم (٣٧).

وقد كان لأخلاف سيد محمد السنوسى تدخل أيضا فى السياسة إلى درجة أن سيد أحمد الشريف السنوسى أعلن الجهاد لمواجهة هجوم الإيطاليين على ليبيا سنة ١٩١٢م/ ١٣٣٠هـ (٣٨) وبعد ذلك استمر السنوسيون فى محاربتهم لسنوات عديدة (٣٩).

والآن لنرى كيف كانت علاقة سيد محمد السنوسى وجماعة السنوسين بالماسونية، فقد كتب جون نينه (John Ninet) الذى كان يعيش فى مصر منذ عام ١٨٥٦م/ ١٢٨٣هـ لسنوات بعدها وقام بأبحاث حول المحافل السرية فى مصر وعلاقتها بالعناصر الأجنبية. كتب أنه قد دعى إلى مصر فى عهد حكم سعيد باشا (١٨٥٤: ١٨٦٣م/ ١٢٧١: ١٢٨٠هـ) حيث انضم إلى محفل تابع لماسون الشرق الأوسط (Oriental Freemasons) فى الإسكندرية وقد انتشرت هذه الحركة الماسونية بعد ذلك وأصبحت عامة. وطبقا لما قاله نينه فإن هذه الجمعية الماسونية لم تكن لها صلة بالمحفل الماسونى الأوروبى فى مصر والمسمى «الأهرام» وأن أعضاء ذلك المحفل المسمى بالشرق الأوسط لم يكونوا يعترفون رسميا على الإطلاق بأى أوروبى فى منظماتهم ولكن أفكارهم وآراءهم كانت متطابقة إلى حد بعيد مع أفكار وآراء الماسونية الأوروبية مع اختلاف فى أن الطابع الدينى لمنظماتهم لم يكن موجودا فى المنظمات الماسونية الأوروبية، ويعتبر نينه أن سيد محمد السنوسى يعد واحداً من قادة فكرة الحرية والتحرر ويقول: إنه كان على صلة بالماسون فى مصر وكان من الأشخاص الذين نشروا بذور هذه المنظمة الماسونية فى مصر وكانت هى نفسها المنظمة الماسونية التى جعلت اسم سيد محمد السنوسى مشهوراً جداً بين المسلمين. ثم عرض نينه بعد ذلك إلى النظام الماسونى لسيد محمد السنوسى حيث يقول إنه كان يقوم بنشر نوع من الماسونية كان لها طابع مذهبى دينى واضح وفى الحقيقة كان يدعو لاشتراكية دينية كانت قائمة على أساس من تعاليم الإسلام الأولى والأخوة العالمية والتحمل الدينى (٤٠).

ويبدو من آراء نينه أن سيد محمد السنوسى لم يكن على صلة بأى منظمة من المنظمات الماسونية العالمية فى أوروبا وكان فقد يقوم بثقلين وتعليم الكثير من أفكارهم وآرائهم وكان يستفيد من الأساليب والخصائص المهيمنة على شبكات الماسونية الأوروبية فى التخطيط وإدارة شبكة واسعة الانتشار ومنظمة مترابطة الزوايا للجماعة السنوسية. ومن الأفضل أن نتحدث هنا أيضا عن علاقة الماسونية والصلة بينها وبين العربية السعودية. إن علاقة الصداقة القوية التى تربط العائلة السعودية بالإنجليز والدور الواسع الشامل للاستعمار الإنجليزى فى إقرار سيطرة هذه الأسرة على الأراضى العربية ليس بالموضوع البعيد عن دائرة المعلومات التاريخية. فالتواجد الملحوظ للعناصر الإنجليزية والأمريكية فى دولة السعوديين، وخاصة

فى شركة بترول أرامكو يمنح من ذاته القوة والتدعيم لاحتتمال وجود نشاط ماسونى فى هذه البلاد. وهذا فضلاً عن أننا نعرف أن الصداقة بين الأسرة السعودية والصهيونية وثيقة الصلة إلى درجة أن هناك وثيقة بخط السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود (توفى ١٩٥٣م/١٣٣٢هـ ش) تثبت أن المذكور قد أقسم «ألف مرة» للمندوب الإنجليزى بيرسى كلاكس (Sir Percy Cax) على أنه لن يتراجع عن «إعطاء» فلسطين إلى «مساكين اليهود» وأنه لن يعارض وعد الإنجليز فى هذا الموضوع حتى يوم القيامة (٤١). وإذا اعتبرنا صحة وجهة نظر الكثيرين من أصحاب الرأى التى تقول بوجود علاقة وثيقة بين الماسونية والصهيونية وخاصة فى العالم العربى فإن الماسونية من الممكن أن تكون لها حتى فى أقبح أشكال مخططاتها الاستعمارية مكانة عالية فى النظام الحاكم على الأراضى السعودية.

ولكن من ناحية أخرى فإن هؤلاء المنصاعين «لأمر الإنجليز» حتى يوم القيامة «والمناحين» فلسطين لليهود هم أنفسهم سدته بيت الله الحرام والحرم النبوى الشريف ولا يمكن أن يكون النشاط الماسونى فى قبلة مليار من المسلمين مقبولاً من وجهة نظر مسلمى العالم بأى حال من الأحوال أو حتى ذنباً يمكن غفرانه.

وربما من هذا المنطلق ليس لدينا أية معلومات من أى نوع حتى الآن عن كيفية العلاقة بين علماء السعودية والماسونية وكذلك الكتابات التى كتبها خبراء تاريخ الماسونية فى العالم العربى والتى استفدنا منها فى هذا البحث لم تتحدث فى هذا الموضوع. وما ورد إلى علمنا حتى الآن على العكس يثبت أن الماسونية والمنظمات الشبيهة لها قد تعرضت للرفض الشديد مرتين على الأقل خلال السنوات الأخيرة من قبل الأوساط الدينية فى مكة وصدر القرار بتحريمها. وفى سنة ١٩٧٤م/١٣٥٣هـ ش عقد «مؤتمر عالمى للمنظمات الإسلامية» فى مكة وشارك فيه مائة وأربعون مندوباً حضر من بينهم وفد كبير على مستوى عال من مصر. وفى البيان الذى أصدره هذا المؤتمر تم إدانة المحافل الماسونية ونوادى الروتارى والليونز وحركات «التسليح الأخلاقى» و«أخوة الحرية» وورد فيه ما يلى:

- ١- على كل مسلم أن يقطع صلته وعلاقته على الفور بمثل هذه المنظمات.
- ٢- كل مسلم يظل على صلته بتلك المنظمات لا يجب أن يكون مسئولاً بأى من الشئون على الشئون والأمور الإسلامية، وهذا العمل يعتبر من المحرمات.
- ٣- من واجب كل دولة إسلامية أن تنهى نشاطات تلك المنظمات فى بلادها وتعلق المحافل التابعة لها.
- ٤- يجب ألا يوكل أى أمر من أمور البلاد والعباد لهؤلاء الذين يتبعون مثل هذه المنظمات ويجب مقاطعتهم.
- ٥- يجب فضح هؤلاء التابعين لمثل هذه المنظمات عن طريق نشر الكتب والكتيبات.

وطبقاً لما كتبه جريدة «أخبار العالم الإسلامي» فإنه بعد ذلك بأربع سنوات تماماً أخذت خطوة متشددة ضد الماسونية وباقي النوادي والجماعات المماثلة وكانت هذه المرة في مدينة مكة أيضاً ومن قبل «المجمع الفقهي» في هذه المدينة فقد أورد المجمع المذكور في بيان أصدره بعد جلسة عقدها في تاريخ ١٥ يونيو ١٩٧٨م / ١٠ شعبان ١٣٩٨هـ ويرئاسة «الشيخ عبد الله بن حميد» رئيس مجلس القضاء الأعلى: أن أعضاء «المجمع الفقهي» قاموا بأبحاث كثيرة حول الماسونية وقرأوا الكتابات والمؤلفات القديمة والجديدة التي ألقت حول هذه المنظمة وأطلعوا على الوثائق والمستندات التي نشرها الماسون أنفسهم وأقطاب الماسونية وخرجوا من ذلك بالنتيجة التالية:

«إن الماسونية منظمة سرية تحتفظ بالكثير من قواعدها وعاداتها وأهدافها في صورة سرية على أساس خصائص زمانية ومكانية وتظهر بعض هذه القواعد والأهداف ولكنها تخفي مبادئها الحقيقية في جميع الأحوال حتى على أعضائها ولا يطلع عليها إلا خواص الخواص منهم، ومسألة «الإخاء الإنساني» التي تروجها الماسونية كذبا ليست أكثر من ادعاء وتظاهر كاذب يهدف إلى خداع الغافلين والبسطاء في تفكيرهم. إن الماسونية لها أهداف سياسية وكان لها تورط وتدخل بشكل واضح وخفي في الثورات السياسية والعسكرية والتغييرات المهمة. وهذه المؤسسة في منشأها ومبناها على صلة وثيقة باليهودية والصهيونية العالمية ولها أهداف مناهضة للدين ونرى ضرورة القضاء على الدين بشكل عام وخاصة الدين الإسلامي والماسونية لها فروع وأسماء مختلفة مثل نوادي الليونز والروتاري وتحاول أن تمارس نشاطها تحت ستار أسماء وعناوين مختلفة. والواضح أن الماسونية استطاعت عن طريق صلتها باليهود والصهيونية العالمية أن يكون لها سيطرة على نشاط الكثيرين من زعماء الدول العربية وغير العربية في الأراضي الفلسطينية وأن تجعل جميع الأنشطة والممارسات في سبيل فائدة ومصالحة اليهود والصهيونية. ولهذا فإن «المجمع الفقهي» يعتبر الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة التي تخطو خطواتها لمناهضة الإسلام. ويعلن أن أي شخص يكون على صلته بها مع علمه بحقيقة أهدافها يعتبر وخارجاً وخارجاً عن ملة الإسلام» (٤٣).

لقد ذكرنا من قبل أن زعيم المذهب السنوسي في شمال أفريقيا هو وحده الذي استفاد من أسلوب عمل الماسونية الأوروبية وأسس شبكة إسلامية خاصة ولكننا نعرف زعيماً مشهوراً آخر من نفس المنظمة في العالم الإسلامي كان على صلة رسمية بالماسونية الأوروبية ودخل ضمن طائفة الماسون وليس هذا الشخص سوى الأمير عبد القادر الجزائري الزعيم المشهور للمقاومة الجزائرية. وبين أيدينا آراء متضاربة حول النشاط الماسوني للأمير عبد القادر الجزائري وكانت مسألة بداية تعرفه على الماسون من المسائل المثيرة للجدل والتي شغلت العلماء الخبراء بتاريخ حياة عبد القادر الجزائري. ولهذا السبب فقي اعتقادنا أنه من المفيد أن نخصص الفصل التالي في هذا البحث لعلاقة عبد القادر الجزائري بالماسونية.

## هوامتن الفصل السادس

- ١- الوردى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص ٣٧٤.
- ٢- صفوة، الماسونية، ص ٤٣٨.
- ٣- Safwat, Freemasonry in the Arab World, P ١٩. معلومات أكثر حول علاقة الشيخ خزعل بالماسونية، انظر: الفصل الخامس من هذا الكتاب.
- ٤- الوردى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص ٣٧٥-٣٧٦. للتعرف على المعركة الكتابية التي قامت بين الكاثوليك والماسون حول هذه المسألة انظر: صفوة، الماسونية، ص ٤٠ وما بعدها.
- ٥- الوردى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص ٣٧٦.
- ٦- Safwat, Freemasonry in the Arab World, P ٢٠.
- ٧- انظر: الوردى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص ٣٧٤-٣٧٩؛ صفوة: الماسونية، ص ٣٧-٤٥.
- ٨- زيدان، تاريخ الماسونية، ص ١٥٤ وما بعدها.
- ٩- صفوة، الماسونية، ص ٢٩-٣٥؛ الوردى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص ٣٦٨-٣٧٤.
- ١٠- الوردى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص ٣٧٠.
- ١١- صفوة، الماسونية، ص ٣٣-٣٤.
- ١٢- حماده، شهادات ماسونية، ص ٦، ١٢٦.
- ١٣- نفس المؤلف، الروتارية والروتاريين، ص ١٦٢؛ صفوة: الماسونية، ص ٣٤-٣٥.
- ١٤- Anonymous, List of Lodges, P ١٩٧١, ١٨٩.
- ١٥- صفوة: الماسونية، ص ٣٥.
- ١٦- نفسه، ص ٣٥.
- ١٧- Landau, «Farmasuniyya», P ٢٩٦.
- ١٨- صفوة، الماسونية، ص ٣٤.
- ١٩- Landau, «Farmasuniyya», P ٢٩٦.
- ٢٠- «وعد بلفور» إشارة إلى الرسالة التي كتبها اللورد بلفور وزير الخارجية الإنجليزي في تاريخ ٢ نوفمبر ١٩١٧م / ١٣٣٦هـ حول رغبة وتأييد حكومة إنجلترا في تشكيل وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين؛ حول هذا الموضوع انظر:
- George Antonius, the Arab Auskening: The story of the Arab National Movement (N.Y, ١٩٦٥), P ٢٤٣ ff.
- ٢١- صفوة، الماسونية، ص ٣٦-٣٧.
- ٢٢- نفسه، ص ٣١.

- ٢٣- Elie Kedouri, The Cathom house Nersion and other Middle Eastern studies (London, ١٩٨٤), P. ٣٢٧.
- ٢٤- F.J.Bliss, The Religions of Modern Syria and Palestine (١٩١٢).
- ٢٥- Kedourie, Catham house Version, P-٤٥١.
- ٢٦- Safwat, Freemasonry in the Arab World, P-١٥٠; صفوة، الماسونية، ص٣٢.
- ٢٧- زيدان، الماسونية، ص١٥٤-١٥٦.
- ٢٨- الوري، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص٣٨١.
- ٢٩- للتعرف أكثر على مسيرة الماسونية في كل من سورية ولبنان وفلسطين والأردن، انظر: صفوة، الماسونية، ص٣٦٨-٣٧٤؛ ٣٨١-٣٨٣. وكذلك انظر: صفوة، الماسونية، ص٢٩-٣٧. وانظر أيضا: زيدان، تاريخ الماسونية، ص١٥٢-١٥٧.
- Safwat, Freemasonry in the Arab World, PP ١٤-١٨.
- ٣٠- تم نقل نص رسالة الماسوني الأمريكي من كتيب سيد محمد صادق سجادي (التُرجم) ماهية نوادي الروتاري وعلاقتها بالجمعيات الماسونية وأعمال الصهانية التخريبية في العالم (تهران: ١٣٥٧ هـ س)، ص٤٤-٤٦. وللإطلاع على كلام حسين عمر حماده والنص العربي للرسالة المذكورة انظر: حمادة، شهادات ماسونية، ص٤٢-٤٥، ٤٧. ولمعلومات أكثر حول ما ذكرناه في هذا الجزء انظر: روزنامه اطلاعات، ٣٠ مرداد، ١، ٢ شهر يور ١٣٤٨ هـ س.
- Grayzal, History of the Jews, PP ٦٥٥-٧١٩, and Passim; D. Hopwood, «Amin al Husayne», EI٢ Supplement (١٩٨٠), PP. ٦٧-٧٠; A.Z.Wenstnck, «Masdjid al Aksa», Shorter Encyclopaedia of Islam (Leiden, ١٩٦١), P. ٣٥٣.
- ٣١- لمعلومات أكثر حول ما ذكرناه عن الماسونية في تونس انظر: Landau, «Freemasonry», P. ٣٥٣.
- وللاطلاع على بحث يكونو حول الماسونية في الجزائر، انظر: Xavier Yacona, Un Siecle de-franc-maconnerie (Paris), (١٧٨٥-١٨٨٤), (١٩٦٤).
- ٣٢- قابيليه (Kabylia) اسم لمنطقة جميلة في الجزائر استخدمه الفرنسيون في كتاباتهم ومعناه «بلاد القبائل» ويبدو أن هذه الكلمة جديدة لأنها لم تستخدم في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب ويقال إن الأوروبيين كانوا يستخدمونها منذ القرن السادس عشر الميلادي وما بعده؛ انظر: R. Le Tourneau, «Kabylia», EI٢ Vol. IV, (١٩٧٨), PP. ٣٥٨-٣٦٤.
- ٣٣- الفت، فراماسونري جيسيت، ص٣٨-٣٩.
- ٣٤- نفسه، ص٣٩.
- Landau, «Farmasunyyia», P. ٢٩٦.
- ٣٦- لمعلومات أكثر حول شبكة زوايا السنوسيين انظر: تيودور لوثراب شتودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج، نويهض وتعليق شكيب ارسلان (القاهرة، ١٩٧١)، الجزء الثاني، ص٣٩٧-٤٠٧.
- ٣٧- Nicola A. Ziadeh, Sanusiyah: A study of revivalist movement in Islam (Leiden, ١٩٥٨), PP. ٣٥-٧٢; Yaacov Shimoni and Evyatar Levine, editors,

٣٨- لمعلومات حول هذا الموضوع انظر: حائري، تضامن إيران وليبيا ضد الإمبريالية.

٣٩- انظر: بهرام افراسيابي، ليبيا والتاريخ (تهران، ١٣٦٣هـ.ش).

٤٠- Landau, «Secret Societies in Egypt», ١٣٧, ١٦١-١٦٢. PP

٤١- تامر السعيد، تاريخ آل سعود (١٤٠٤هـ)، ص ٩٥٠-٩٥١.

ويحوى هذا الكتاب معلومات منشورة حول العائلة السعودية لم يتم تحليلها وتفصيلها بشكل جيد، ومع الحوارات التي قام بها كاتب هذه السطور في سنة ١٣٦٦ ش مع بعض من العلماء في تاريخ العرب والشرق الأوسط في بعض الجامعات الأمريكية والإنجليزية اتضح أنهم لم يعلموا حتى الآن شيئاً عن هذا الكتاب ولم يكونوا على علم بوجوده أصلاً. وقد قمت في سنة ١٣٦١هـ من بكتابة مقالة قدمت فيها هذا الكتاب لقراء الفارسية وتحدثت حول محتوياته المهمة ومدى إثارته لبعض التساؤلات؛ انظر: عبد الهادي حائري «مقدمة للسوابق التاريخية لحركات شمولية الإسلام»، بخش سوم، مجلة دانشکده ادبیات وعلوم انسانی دانشگاه مشهد، ١٥ (١٣٦١هـ.س)، ص ٤٢٥-٤٢٦. ولكن إلى الآن لم يظهر شخص يكون لديه الاستعداد ليترجمه كله إلى الفارسية وحتى الآن لم يترجم وينشر إلا جزء يسير منه؛ انظر: تامر السعيد، از کجا؟ بکجا؟ خاندان سعودی رایشناسیم، ترجمة أبو میثم (وحید) (تهران، ١٣٦٠هـ.س). ويبدو أنه على الرغم من الرغبة الشديدة لدى الشعب الإيراني للتعرف على موضوعات هذا الكتاب فإن جميع موضوعاته لن يتم ترجمتها إلى الفارسية على الأقل في العصر الحاضر وذلك لأنه إلى جانب الفصائح المثيرة للعجب حول الحكام السعوديين، يوجد فيه أيضاً آراء وأحاديث حول سيد محمد كاظم طباطبائي اليزدي، المرجع الشيعي الأعلى، لن تكون موضعاً لرضا وقبول المتصلين بالمسائل والأمر والشئون الشيعية.

٤٢- حمادة، الروتارية والروتاريون، ص ١٣٩.

٤٣- نفس المؤلف، شهادات ماسونية، ص ١٦٤-١٦٨.